(ولهٌ لها) القصيدة الذاكراتية وشعرية التلاقح الأجناسي

أ.د. خليل شكري هياس

جامعة الحمدانية/ كلية التربية

الملخص

باتَ أمرُ الحداثةِ في الشعرِ الشغلُ الشاغلُ في الحياةِ الثقافيةِ العربيةِ، ليست في العصورِ الأخيرةِ حسب، بل منذ أن ظهرتْ طلائعُ التجديدِ الحقيقي في الشعر العربي، إبانَ العصر العباسي مع ثلةٍ من الشعراءِ المجددين، مثل المتنبي وأبي تمام وأبي نؤاس، وكانت وليدة هذه الحداثة تنوعاً في شكل القصيدة العربية التي غادرت منطقة القصيدة العمودية، إلى منطقة قصيدة التفعيلة، ومنها إلى قصيدة النثر التي ظلت مثار جدل نقدي كبير. القصيدة الذاكراتية واحدة من التنويعات الشعرية التشكيلية التي لَعِبَ عليها الشاعر العربي قديماً وحديثًا، مع فارق ربما في القصدية الكبيرة التي تحضر في القصيدة المعاصرة بوصفها – أي الذاكرة– مرتكزًا تشكيلياً وموضوعياً مهمًا، هذه القصدية المرهونة بآليات الكتابة الشعرية ومن ثم النقدية التي أسست على نحو لا شك فيه أهمية هذا المرتكز النصي، ولعل من أهم دلالاتها التوظيفية أنها تعد الجسر الرابط بين واقع ماضوي عاشه أو شاهده الذات المبدعة وبين النص في زمنه الآني.

من هذا المنطلق جاءت دراستنا لمجموع (ولهٌ لها) الشعرية للشاعر عمر السراي التي تشتغلُ فيها الذاكرةُ الشعريةُ بطاقةٍ جماليةٍ واضحةٍ، على نحوٍ تشكلُ ثيمةً قرائيةً نابضةً بالدلالاتِ والرؤى.

الكلمات المفتاحية: القصيدة الذاكراتية – الشعر – الذاكرة – السيرذاتية

باتَ أمرُ الحداثةِ في الشعرِ الشغلُ الشاغلُ في الحياةِ الثقافيةِ العربيةِ، ليست في العصورِ الأخيرةِ حسب، بل منذ أن ظهرتْ طلائعُ التجديدِ الحقيقي في الشعر العربي، إبانَ العصر العباسي مع ثلةٍ من الشعراءِ المجددين، مثل المتنبي وأبي تمام وأبي نؤاس وآخرين غيرهم تمكنوا من تركِ بصماتِهم التجديدية على خارطةِ الشعر العربي، واستطاعَ البعضُ منهم خطَّ هويةً مائزةً لنفسِه، خَلَّد فيها اسمه ليكون اسمًا شعرياً لا يمكن تجاوزه في قائمةِ الشعراءِ العربِ عبر العصورِ. ومنذُ ذلك الحينِ والشعرُ العربي تتقاذفُهُ أمواجُ الحداثةِ، فيعلوا نجمَهُ مرةً ويخبو مرةً، تماشياً مع قوةِ أو ضعفِ أمواجِ الحداثةِ التي كثيرًا ما تصطدمُ برتابةِ السائدِ ومقاومةِ تيارِ المحافظين، إلا أن التجربةَ الشعريةَ العربيةَ شأنُهَا شأنُ كلِّ التجاربِ الشعريةِ الأخرى تحسستْ أهميةَ نزعاتِ الحداثةِ والتجديدِ في الشعرِ العالمي، وبعضِ روافدِه المؤثرةِ،[١] فراحتْ تخطوا خطواتٍ كبيرةً في اتجاهِ الحداثةِ وتنعتقُ تدريجياً من التراكماتِ التقليديةِ السابقةِ بعد أن وجدتْ أنهَّا ليستِ الوحيدةَ من تحاولُ الانعتاقَ، والالتحاقَ بركبِ الحضارةِ الجديدةِ شأنُها في ذلك شأنُ المعارفِ الاقتصاديةِ والسياسيةِ والاجتماعية.

وكانت وليدة هذه الحداثة تنوعًا في شكل القصيدة العربية التي غادرت منطقة القصيدة العمودية، إلى منطقة قصيدة التفعيلة، ومنها إلى قصيدة النثر التي ظلت مثار جدل نقدي كبير، وصولاً إلى قصيدة الهايكو العربية التي لم تُقابَل بارتياح وقبول من الشارع الشعري العربي لحد هذا اليوم، هذا فضلا عن تجديد وتنوع على صعيد طول القصيدة من الطويلة، إلى القصيرة، وإلى القصيرة جدا، التي ولدت معها القصيدة المركزة، وقصيدة الضربة، وقصيدة التوقيعة وغيرها من التنويعات الأخرى، وعلى صعيد آخر نجد تلاقحات تشكيلية للقصيدة العربية المعاصرة مع الفنون الكلامية والسمعية والبصرية، فظهرت عندنا القصيدة الممسرحة، والقصيدة السيرذاتية، والقصيدة المفلمنة، والقصيدة اللوحة، وأنواع أخر شكلت تنويعات مهمة في بستان الشعر العربي.

القصيدة الذاكراتية واحدة من التنويعات الشعرية التشكيلية التي لَعِبَ عليها الشاعر العربي قديمًا وحديثًا، مع فارق ربما في القصدية الكبيرة التي تحضر في القصيدة المعاصرة بوصفها – أي الذاكرة– مرتكزًا تشكيلياً وموضوعيًا مهمًا، مع عفوية ملحوظة لطبيعة حضورها في

---

(١) مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والابداع، فاضل ثامر: ١٨٦.

القصيدة العربية القديمة، هذه القصدية المرهونة بآليات الكتابة الشعرية ومن ثم النقدية التي أسست على نحو لا شك فيه أهمية هذا المرتكز النصي ليس في الشعر حسب، بل في مجمل الفنون الابداعية الكتابية والسمعية والبصرية، ولعل من أهم دلالاتها التوظيفية أنها تعد الجسر الرابط بين واقع ماضوي عاشه أو شاهده الذات المبدعة وبين النص في زمنه الآني في مسعى منها لوصل لحظة الإدراك المباشر باللحظات الماضية التي حملت إليه إنطباعات مماثلة.

وهذا الوصلُ بين الانطباعين (الراهن/الماضي) هو الذي يمكنُ المبدعَ في لحظةٍ من أن يخلقَ تأليفًا عبر الزمنِ قوامُهُ النظامُ.(١) والأمرُ لا يقفُ عند هذا الحدِ، فالذاكرةُ في اشتغالِهَا تُقيمُ جملةً من العلاقاتِ مع الحواسِ الأخرى، وتنسجُ معها جملةً من النوازعِ البشريةِ منها "الحلمُ والذكرى والتكرارُ والإدراكُ والتداعي والعاطفة. وتنتجُ عن هذه الشبكةِ من العلاقاتِ بين الذاكرةِ وبين عوالمَ الإحساسِ الباطنيةِ، أنماطًا متعددة من الذاكرة. من بينها الذاكرةُ الشذريةُ... فنحنُ نَعثرُ بدواخلنا على شذراتٍ من ماضينا، عن مراحلَ قصيرةٍ من الزمنِ، وبينهما فراغاتٍ، نستعينُ بالخيالِ لملئِها، وهناك الذاكرةُ العاطفيةُ،... التي تبدأ من الإحساسِ أن هناك شيئًا ما يثيرُ إحاسيسنا فيتحولُ إلى صورةٍ واعيةٍ، وبعد ذلك ستسمحُ الذاكرةُ بإعادةِ إنتاجِ هذه الصورةِ، حتى ولو أن الشيء اختفى من حقلِ إدراكنا."(٢). وهذا يقودُنا إلى أنَّهُ لا يمكن النظرَ إلى أيِّ نصٍ إبداعيٍّ ذاكراتيٍّ إلا بتصورِ وجودِ أكثرَ من ذاكرة:

الأولى: الذاكرةُ الواقعيةُ الما قبلْ نصية التي " تضربُ جذورَهَا، بعيداً، لتشملَ مراحلَ شتى، بدءاً بنشوءِ الوعي لدى المؤلفِ، وصولاً إلى لحظةِ الكتابةِ.

---

(١) في الذاكرة الشعرية، قيس كاظم الجنابي: ٧.

(٢) الشعر والذاكرة من الامتلاء إلى الانقطاع، محمد آيت لعميم، مجلة نزوى النسخة الألكترونية، ١٣ يوليو ٢٠١٥/www.nizwa.com.

الثانية: هي ذاكرةُ القصيدةِ التي تتقاطعُ مع ذاكرةِ الشاعر في ما ورائياتِها، فضلًا عن لحظتِها المرصودةِ، اللحظةُ التي لها مقياسُها الزماني الصرف، بما لا ينفصلُ عن وجودِ ذاكرةٍ ثالثةٍ، تمارسُ سطوتَها على الذاكرتين الأخرتين، وكأنّهَا الذاكرةُ الأم، لما لها من علاقةٍ بالزمنِ العامِ، في سيرورته، وصيرورته". [١]

وهذا يعني أنَّ الذاكرةَ الابداعيةَ ومنها الشعريةَ تستحضرُ الذكريات وتنقلُهَا من الماضي (ما كان) إلى حيزِ الزمنِ الآني (لحظةُ الكتابةِ) ومن ثم القيامُ بمعالجتِها على وفقِ الوعيِّ الآنيِّ بها. أي أنَّها لا تستحضرُ الماضي بشكلٍ إليٍّ مجردٍ، لأنَّ فعلَ التذكيرِ يتمُ في الحاضرِ ذهابا إلى الماضي بطريقةِ الانتقاءِ والاختيارِ، أو من جراءِ الحذفِ أو التقطيعِ على وفقِ اللحظةِ الراهنةِ لحالة الوعي. الأمرُ الذي يقودُنا إلى أن التطابقُ المفترضُ بين الوقائعِ وعرضِها غيرُ ممكن لأسباب:

-منها ما يتعلق بأليةِ عملِ الذاكرةِ التي لا تستطيعُ التخلصَ من سطوةِ وعي الحاضرِ - وهي تستدعي التجربة_ لتلتحمَ بالماضي الذي ترويه.[٢]

-ومنها ما يتعلق بطبيعة وظيفتها في النص الشعري وطريقة معالجتها على وفق المساحة التي يسمح به النص الشعري أن تتحرك فيه الذاكرة، التي حتمًا تكون أضيق من مساحتها في النص النثري.

ومن هنا تبرزُ أهميةَ العالمِ المرئيِّ ومدى إسهامِهِ في تشكيلِ معالمِ النصِّ، إذ "لا يكتفي فيهِ الوعي بإدراكِ العالمِ، بل يعيدُ انتاجَهُ وخلقَهُ، ويحولَهُ من عالمٍ مصمتٍ إلى عالمٍ حيٍّ من الصورِ"[٣]. وهذا التصويرُ _بمعناه الشعري وليس الفوتوغرافي _ يجعلُ من العينِ التي هي مصدرُ الفعلِ البصري في النصِّ "بمثابةِ شاشةِ العقلِ الشعري، ومرآتِهِ التخييليةِ العاكسةِ، ومن ثَمَّ فأنَّ الأفعالَ الأخرى تنعكسُ بأجمعِها على هذه الشاشةِ، وتعمل داخلَ شاشةِ العين

---

(١) الذاكرة رحم القصيدة، ملحق الخليج الثقافي، الخميس ١٥ ذو القعدة ١٤٤٠ هـ ، ١٨ يوليو ٢٠١٩ م.

(٢) السيرة الذاتية، جورج ماي، تعريب: محمد القاضي وعبد الله صولة: ٩٤.

(٣) عالم الأشياء أم عالم الصور، حسن حنفي مجلة الفصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد: ٦٢، لسنة ٢٠٠٣: ٢٣.

الرائيةِ "[١]. وبذلك يكونُ الشاعرُ قد استعان بفاعليةِ العينِ، وفاعليةِ الذاكرةِ في تشكيل نصه: الأولى: تمتلكُ فاعليةَ التبصرِ البرَّانيِّ وتتحدثُ بلغةِ المكانِ الحسي، والثانية: تمتلكُ فاعليةَ التبصرِ الجواني وتتحدثُ بلغةِ الزمانِ النفسية [٢]. أي أنَّ الذاكرةَ ترصدُ حركةَ النصِّ استتباعًا في اتجاهات متقاطعةٍ ومتداخلةٍ، سواءً على صعيدِ المكانِ، أو الزمانِ، أو الرؤيةِ، في حين أن العينَ الرائيةَ منحصرةٌ في مسحِ وتشخيصِ المشاهدِ والأشياءِ، فحركةُ الذاكرةِ تتجهُ صوبَ الداخلِ عمودياً، وتتجهُ العينُ صوبَ الخارجِ أفقياً.[٣].

تشتغلُ الذاكرةُ الشعريةُ بطاقةٍ جماليةٍ واضحةٍ في مجموعةِ (ولهٌ لها) الشعرية للشاعر عمر السراي، على نحوٍ تشكلُ ثيمةً قرائيةً نابضةً بالدلالاتِ والرؤى، وتحضرُ بقوةٍ من بدايةِ المجموعةِ تحديداً في المستهلِ القرائي الثاني لتعلنَ فضلًا على دلالاتِها ورؤاها عن وظيفتِها العتباتيةِ بوصفِها بنيةً استهلاليةً تساهمُ مع العتباتِ الأخرى في قيادةِ دفةِ القراءةِ ووضعِ قدمِ القارئِ على الطريقِ الذي يقودُ إلى الداخلِ/ المتن:

وكما يُخرِجُ الأطفالُ أكفَّهم من حافلةٍ تقودهم

من المدرسة إلى الجنةِ وقت المطرِ

كنت أُدخِلُ يدي في موجةٍ من نفانيف سحرها.

لتبتلَّ بالذكريات

الذكرياتُ التي غرزتْ صوتَ فيروز في آذاننا

المشغولةِ بوجعِ العطرِ الذائبِ بيننا

الذكرياتُ التي تُرخي شوكها إطاراتِ سيارةٍ

مسرعةٍ في طينٍ جبلي ..

الذكرياتُ التي حوَّلت قطرة مكانٍ صغيرٍ إلى غابةٍ

من جنياتٍ وأماني ..[٤]

---

(١) مرايا التخييل الشعري ، د. محمد صابر عبيد: ١٢٤ .

(٢) جدل القراءة: ملاحظات في الإبداع المغربي المعاصر، نجيب العوفي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٠: ١٠ .

(٣) جدل القراءة: ملاحظات في الإبداع المغربي المعاصر: ١٥ .

(٤) المجموعة: دار ومكتبة عدنان، بغداد– العراق،٢٠١٨: ٩–١٠.

الذاكرةُ في هذا المقطعِ تعملُ جاهدةً على زجِّ مجموعةٍ من الذكرياتِ التي توحي في مجملِهَا بعلاقةٍ كانت ولا تزالُ –لحظة الكتابة– بينَ الذاتِ الشاعرةِ وبين من تحبُ، تُستهَلُ بذكرى من ماضٍ قريبٍ (وكما يُخرِجُ الأطفالُ أكفَّهم من حافلةٍ تقودهم/ من المدرسة إلى الجنة وقت المطر/ كنت أُدخِلُ يدي في موجةٍ من نفانيف سحرها.)، تتشكلُ هذه الذكرى من خلالِ صورةٍ بلاغيةٍ قوامُها التشبيهُ التمثيليُّ القائمُ على ربطِ صورةٍ بصورةٍ عبرَ أداةِ التشبيه، والتي منها تتوالى صوراً ذاكراتيةً تمثلُ شظايا، تنبثقُ منها الذكرياتُ على طولِ مسارِ المتنِ الشعريِّ. ولعل أبرز الدلالاتِ المستشفةَ من هاتينِ الصورتينِ عفويةُ وبراءةُ المحبِّ التي تقابلُ عفويةُ وبراءةُ الأطفالِ وهم يمرحونَ ويلعبونَ في طريقِهم من المدرسةِ إلى البيتِ/ الجنةِ بحضورٍ لافتٍ للمطرِ الذي عادةً ما يكونُ مبعثُ سرورٍ وفرحٍ، ومن هذه الدلالةِ نستطيعُ أن نشكلَ وجهَ الشبهِ في الصورةِ التشبيهيةِ الكليةِ التي توغلُ بعيداً في الانزياحِ في ركني التشبيهِ (المشبهِ والمشبهِ به) وتبلغُ قوةُ الانزياحِ ذروتَهَا في (أُدخِلُ يدي في موجةٍ من نفانيف سحرها.) إذ تشتغلُ مفردةُ (نفانيف) بطاقةٍ انزياحيةٍ عاليةٍ لترسمَ لنا صورةً خياليةً قوامهَا موجة ضاغطة من سحرِها –أي الحبيبة– تتركُ تأثيرَها البالغَ على قلبِ الحبيبِ المأسورِ بحبها، لتأتي بعد ذلك سيل الذكريات مترجمة لذلك الأسر الموغل في الماضي البعيد، الحامل بالجمال، والموحي بالحلوِ من الذكرياتِ (صوتُ فيروز المغروزِ في آذانِهما)، والمُرُّ منها (الذكرياتُ المشغولةُ بوجعِ العطرِ)، الأولى: تأخذُك إلى لغةِ الروحِ الأوحد حين يسمو بكَ صوتُ فيروزِ بكلِّ حضوره الذاكرتي في الذاتِ الجمعيِّ العربيِّ، والثانية: تأخذُكَ إلى صورةٍ مفعمةٍ بحسرةِ العطرِ الموجوعِ حين تبكي على ذكرياتٍ منفلتةٍ بين يدي الذاتِ الشاعرةِ وحبيبتِها، هذا الجمالُ وهذا المرُّ يتجسدانِ في الصورتينِ اللاحقتينِ، يحضر المُرُّ في (الذكريات التي تلين شوكها تحت وطأة إطارات السيارة في طين جبلي) بكلِّ ما فيها من شعريةٍ موغلةٍ في الوصفِ الكامراتي، ويحضرُ الحلو في الذكرياتِ التي ترسمُ معالمَ مكانٍ ثنائي الدلالةِ يتشكلُ عبرَ حضورٍ تخييلي للجنياتِ والأماني لتزهرَ في النهايةِ عن فضاءٍ خيالي تحلقُ فيها الذاتُ الشاعرةُ بشاعريةٍ عاليةٍ في سماءٍ من الأماني التي لا يمكنُ لها أن تتحققُ إلاّ عبرَ الشعرِ من جهةٍ، وتقودُكَ إلى منطقةٍ حساسةٍ من الذاتِ حين تلامسُ شغافَ الذاكرةِ وهي تعودُ إلى ماضيها الأنوي، لترسم منذ بنيةِ الاستهلالِ معالمَ تقتربُ كثيراً مما هو واقعي سيري من جهة ثانية، وسنجدُ تجلياتِها واضحةً حينَ نوغلُ أكثر في ثنايا المتن.

وتأتي قصيدة (من مذكرات عاشق) لتجسدَ تجلٍ من تجلياتِ الفعلِ الذاكرتي في تشكيلِ قصائدِ عمر السراي، والمذكراتُ كما نعلم شكلٌ من أشكالِ العائلةِ الأجناسيةِ السيرذاتيةِ الذي يأتي هنا متلاقحًا مع جنسِ السيرة ليجسدان في النهايةِ نوعًا مهجنًا: هو القصيدة المذكراتية التي تشتغلُ فيها المرتكزاتُ السرديةُ بثوبها المذكراتي جنبًا إلى جنبٍ مع المرتكزاتِ الشعريةِ، ولعلَّ من أهمِ تلك المرتكزاتِ المذاكرتيةِ منظورُها الاستعاديِّ السرديِّ، وكذلكّ التطابقُ بين أنا المؤلفِ/الشاعرِ(الكائنُ القابعُ خارجَ النصِ)، وبين أنا السارِدِ، وبين الذاتِ الشاعرةِ داخل النص:

حينما هجرتِني للمرة الأولى..

قررتُ بأن أنشرَ رسائلك لي، وصورنَا معًا، على

الملأ..!

ولأن ألــ (الفيس بوك) لم يكن موجوداً يومها

نشرتُها على أستار الكعبة فأسموها (المعلقات)..!!

حينما هجرتِني للمرة الأخيرة..

أودعتُ انكساري في (قصيدة نثر) .. تبحثُ عن

إعجابٍ منكِ وسطَ زحمة الدموع...[1]

المشهدُ المذكراتي الأولُ يشتغلُ على وفقِ زمنينِ سرديينِ، يقسمانِ المشهدَ على لقطتينِ سرد–شعريتين:

الأولى: موغلةٌ في الماضي حينَ تتوحدُ الذاتُ الشاعرةُ المعاصرةُ الحاضرةُ في النصِ، بالذاتِ الشاعرةِ في عصرِ ما قبلَ الإسلامِ.

الثانية: تستندُ إلى ماضٍ قريب، في مسعى من الذاتِ الشاعرةِ لعقدِ نوعٍ من المقارنةِ بين حضاريتينِ، قوامُهُما العلاقةُ الوجديةُ بين المحبينَ وما يصاحبُهَا من مدٍّ الحبِّ وجزرِ الهجرةِ، تلكَ الثنائيةُ الأزليةُ التي تفعلْ فعلُهَا بين المحبينَ، مع ملاحظةِ للطبيعةِ المغايرةِ للفعلينِ في الحضارتينِ على نحوٍ تعكسُ طبيعةَ واقعِ كلٍّ من الحضارتينِ، تتمثلُ في اللقطةِ الأولى بقوةِ حضورٍ لأستارِ الكعبةِ المتحولةِ إلى منبرٍ إعلاميٍّ مؤثرٍ وفاعلٍ في الواقعِ الما قبل اسلامي، تقابلُهَا قنواتُ التواصلِ الاجتماعي الألكتروني التي غدت فعلاً اجتماعياً وثقافياً وعولمياً جمعت العالم كله في شاشات صغيرة.

([1]) المجموعة: ٤١–٤٢.

وبينَ هذا وذاكَ تحاولَ الذاتُ الشاعرةُ بثَّ الفارقِ الكبيرِ بينَ حضارةٍ عربيةٍ كانَ للشعرِ والشاعرِ فيها الكعبُ المعلى، إلى درجةٍ تسمو فيها الشعرُ لتعلقَ على أستارٍ أكثرَ الأماكنِ قدسيةً هي أستارُ الكعبةِ، وبينَ حضارةٍ ماعتْ فيها الذواتُ والأشياءُ وما عادتْ للمركزياتِ من وجودٍ تجسدتْ في النصِ في انكسارِ الذاتِ الشاعرةِ وهي تودعُ مشاعرَهَا في قصيدةٍ تخلت عن مكانِها المقدسِ لتتزوي في زاويةٍ ما على الفيس بوك بانتظارِ من يمرُّ عليها أملًا في إعجابٍ غيرِ مرئيٍّ وبعيدٍ، لا يرى فيها الذوات وجهًا لوجه. وهذا الأمرُ يعكسُ على نحوٍ واضحٍ انسلاخَ الذاتِ من هويتِها لصالحِ العولمةِ.

تتمظهرُ القصيدةُ الذاكرتيةُ على نحوٍ واضحٍ أيضًا في القصائدِ الماليةِ التي تقودُ النصوصَ الواقعةَ تحتَ مظلتِّها إلى منطقةِ السيرةِ الذاتيةِ، هذه المنطقةُ التي لا يمكنُ لها أن تعملَ بمعزلٍ عن الذاكرةِ، فهي قوامُ العملِ السيرذاتيِّ بكلِّ تصنيفاتِهِ المذكراتيةِ والذكرياتيةِ وأدبُ الاعترافِ واليومياتِ، هذا الحضورُ السيرذاتي نلمسهُ منذُ النصِّ رقم (واحد) الذي يفاجِئُكَ منذُ الوهلةِ الأولى بميثاقِها السيرذاتي:

(١)

منذُ أنْ اصبحتُ أمينًا وأنا أفكر بالأرقام..

أضعُ الأصفار بدقة رامي سهم..

وأدوِّن المقبوضاتِ والمصروفاتِ..

وأحلمُ بالصكوكِ والوصولاتِ..

إلاّ أن ما يسعدني حتمًا..

وجودُكِ الذي علّمَ قلبي أن يكون صيرفياً..

يستحلُّ الربا والفوائد حينَ تتأخر أقساط القبلة

الخاطفة.[١]

يقتربُ هذا النصُ منذُ مفتتحِهِ الشعر-سردي) من منطقةِ السيرةِ الذاتيةِ من خلالِ إشارتِهِ الميثاقيةِ التي تذهبُ باتجاه الكشفِ عن التطابقِ بين شخصيةِ الذاتِ الشاعرةِ القابعةِ في النصِّ، وبين شخصِ المؤلفِ القابعِ خارجَ النصِّ، وذلكَ عبرَ المهمةِ الواحدةِ المناطةِ بهما،

(١) المجموعة: ١١٣-١١٤.

وهي العملُ بصفةِ الأمينِ المالي، التي تتضحُ أكثرَ بربطِهَا معَ عنوانِ النصوصِ (قصائدَ مالية)، فعمرُ السراي/ المؤلفُ الأمينُ المالي لصندوقِ الاتحادِ، يعملُ على نحوٍ لا يقبلُ الشكَ على إخبارِ قارئِه أنَّه حاضرٌ في قصائدِه المالية، وأنَّه متماهٍ جداً مع عمر السراي الكائنِ الورقي الشعري داخلَ النصِّ، وهذا الأمرُ يكتسبُ خصوصيةً أكبرَ عندما جاءَ في النصِّ الأولِ، ليعلنَ الشاعرُ منذ المفتتحِ عن هذا الحضورِ السيرذاتي لهُ لتتوالى بعدَ ذلك النصوصُ بثوبِها السيريِّ المستندِ إلى الذاكرة.

وفي خضمِ كل هذه التقريريةِ والمباشريةِ التي هيمنتْ على الأسطرِ الثلاثةِ الأولى من النصِّ تأتي الجملُ الشعريةُ الثلاثُ الأخيرةُ لتُحدثَ الدهشةَ الشعريةَ عندما تُصهرُ الذاتُ الشعريةُ العمل الصيرفي في مختبرِ الشعرِ لتغدو مزاولةَ الحبِّ بكلِّ أفعالِه عملاً مصرفياً قابلًا للتفاوضِ والمساومةِ المصرفيةِ، وتغدو القُبلةُ بين الأمينِ المالي وحبيبتِه فعلًا ربوياً إذا ما تأخرت وصارت بالتقسيط.

ومن النصوص الشعرية بثوبها المالي والذاكرتي النص رقم (٣) الذي يحاول الشاعر من خلاله تقديم فضاء عام للذكريات في هذه النصوص المالية:

أمتلكُ الآنَ قاصةً كبيرةً وفارغةً إلاّ من الذكرياتِ..

فهي تشبَهُ ثلاجةَ شقتنا في الليلةِ الأولى..

خذي القاصةَ البائسةَ مني..

وأنا سأتكفلُ بملءِ الثلاجة برُزَمِ المشاعرِ الساخنة.[١]

تشتغلُ مفردةُ (القاصة) بوصفِهَا علامةً ماليةً اشتغالاً انزياحياً في النصِّ لتتحولَ إلى معادلٍ للذاكرة، وبدلاً من أنْ تكونَ مأوى للمالِ تغدو مأوى للذكرياتِ في إشارةٍ واضحةٍ من الذاتِ الشاعرةِ لكسبِ القاصةِ دلالاتٍ شعريةً تخرِجُهَا من منطقِها المالي إلى منطقٍ شعري عندما تُزَجُ إلى معتركِ حياةِ الذاتين (ذات الشاعرِ، وذاتِ الحبيبة) في سياقِها الزمني الماضوي بعد أن تقومَ الذاكرةُ باستدعائِها من منجمِ الذكريات، فتذهبُ الذاتُ الشاعرةُ بالذكرياتِ إلى ليلتِهما الأولى عندما جمعتْهُما الشقةُ لتلتقطَ الذاتُ فيها تلكَ الثلاجةَ التي ظلتْ حيةً في الذاكرةِ، لتكونَ اليوم –ساعةَ كتابةِ النصِّ– ركنًا من أركانِ التشبيهِ، مُشَكّلَةً بذلك وجهًا للشبهِ قوامُه خزينًا حاوياً ليسَ للمأكولات، وإنما للذكرياتِ بعد أن انسلختْ من معناها المعجمي إلى معناها الانزياحي الواقعِ تحتَ وطأةِ وسلطةِ الشعرِ.

---

(١) المجموعة: ١١٥.

ثبت المصـــادر

أولًا: المراجع

- ولهٌ لها، عمر السراي، دار ومكتبة عدنان، بغداد- العراق،٢٠١٨.

ثانياً: المصادر

- جدل القراءة: ملاحظات في الإبداع المغربي المعاصر، نجيب العوفي ، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٠.
- السيرة الذاتية، جورج ماي، تعريب: محمد القاضي وعبد الله صولة المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس، ط١. د.ت.
- في الذاكرة الشعرية، قيس كاظم الجنابي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٨.
- مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والابداع، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة أفاق عربية، بغداد العراق، ١٩٨٧.
- مرايا التخييل الشعري ، د. محمد صابر عبيد ، جدارا للكتاب العالمي _ عالم الكتب الحديثة ، الأردن، ط١، ٢٠٠٦ .

ثالثًا: الدوريات

- الذاكرة رحم القصيدة، ملحق الخليج الثقافي، الخميس ١٥ ذو القعدة ١٤٤٠هـ ، ١٨ يوليو ٢٠١٩م.
- عالم الأشياء أم عالم الصور، حسن حنفي مجلة الفصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد: ٦٢، لسنة ٢٠٠٣.

رابعًا: مواقع التواصل الاجتماعي

الشعر والذاكرة من الامتلاء إلى الانقطاع، محمد آيت لعميم، مجلة نزوى النسخة الألكترونية، ١٣ يوليو ٢٠١٥. www.nizwa.com/

(And for him) the mnemonic poem and the poetry of sexual cross-fertilization

Prof. Dr. Khalil Shukri Hayas

Al-Hamdaniya University/College of Education

Abstract

The issue of modernity in poetry has become a preoccupation in Arab cultural life, not only in recent times, but since the pioneers of true renewal appeared in Arab poetry, during the Abbasid era with a group of renewal poets, such as Al-Mutanabi, Abu Tammam and Abu Nawas, and the product of this modernity was diverse. In the form of the Arabic poem that left the area of the vertical poem, to the area of the tambourine poem, and from there to the prose poem, which has been the subject of great critical debate. The memory poem is one of the plastic poetic variations that the Arab poet, ancient and modern, played with a difference, perhaps, in the great intentionality that is present in the contemporary poem as - that is, memory - an important formal and thematic basis. This intentionality is contingent on the mechanisms of poetic writing and then criticism, which undoubtedly established the importance of this textual foundation, and perhaps one of its most important employment implications is that it is the bridge The link between a past reality lived or witnessed by the creative self and the text in its immediate time.

From this point of view came our study of the poetic collection (and has it) of the poet Omar Al-Saray, in which poetic memory operates with a clear aesthetic energy, in a way that constitutes a reading theme pulsating with connotations and visions.

Keywords: mnemonic poem - poetry - memory - autobiography